خليل الهنداوي

الدم لا يصير ماء

مسرحية في ستة مشاهد

مهداة

الى الفدائيين .. الشهداء الاحياء

المشهد الاول

المكان ـ طريق ينتهي بنقطة مراقبة اسرائيلية ، والناس في زحمة ينتظرون ساعة العبور ..

لوحة مخطوطة على جدار موضع المراقبة :

« يسمح للعرب الذين يحملون تصاريح اسرائيلية بزيارة أرض دولة اسرائيل » .

بين هؤلاء الناس امرأتان ، عربيتان ، متوسطتا العمر .. ترتديان رداء أسود ، طويلا ، على وجههما لثام يغطي بعض ملامح الوجه ...

الاشخاص في اللوحة الاولى :

سعاد وسلمى : امرأتان عربيتان

عازار : جندي اسرائيلي ، اسمر اللون ، معتدل القامة ، اسود العينين .

صموئيل : جندي اسرائيلي ، ابيض البشرة ، ازرق العينين .

ـ الاثنان في مطلع الشباب ـ

سعاد : زاحمي الجمع يا اختاه . شقي لنا طريقا !

سلمى : ويلتاه من هؤلاء الرجال ، لا يحترمون امراة ، ولا شيخا عجوزا.

سعاد : اذا لم نكن رجالا اكلتنا الرجال .

سلمى : وي . لا ارى التصريح . دعيني اتفقد التصريح .

سعاد : كان بيدك قبل لحظات ..

سلمى : كان بيدي ، والان لا اجده ..

سعاد : فتشي عته .. كيف نمر بلا تصريح ؟

سلمى : انني افتش عنه عبثا .. هل هنالك من سرقه مني؟

سعاد : لقد ذهب عناؤنا سدى .. زاحمنا الرجال حتى وصلنا الى النهاية ... والان تذهب جهودنا سدى .

سلمى : لا فائدة من مواصلة الزحام .. لنعد الى المخيم . غدا نطلب تصريحا غيره .

سعاد : لم تعد روحي تستطيع الصبر على مثل هذا الزحام .. لقد ابتلعنا من الغبار ما فيه الكفاية .. واكتوينا من لهيب الشمس حتى ذابت رؤوسنا ..

سلمى : وماذا ينفعنا البقاء ، واحتمال العناء ؟

سعاد لم يبق لي اقدام تحملني ، لا اليوم ولا غدا .. واصلي السير حتى نبلغ نقطة المراقبة .. لقد كدنا نصل ..

سلمى : (بعد اندفاع) ها قد وصلنا .

هذه نقطة المراقبة .. هل يسمحون لنا بالعبور ؟ الا ترين الجنود كيف يدققون في التصاريح ؟ وينفرسون في الوجوه ؟ ان العبور بلا تصريح امر مستحيل .

سعاد : نستثير فيهم العطف والرقة .. لعلهم يرأفون بالنساء .

سلمى : هل في قلوب المحاربين عطف ورقة ؟

سعاد : لا تقفي . لا تترددي .. كدنا نبلغ الحاجز اللعين .

صموئيل : كفى ! كفى ! انتهى وقت المرور اليوم .. عودوا الى بيوتكم. وارجعوا غدا مع الصباح .

(تأفف وتذمر من الناس .. منهم من يمزق التصريح ، ويرجع ؛ ومنهم من يعود وهو ينظر الى خلفه) .

سعاد : ولكنا .. كما ترى نساء .. ايها الجندي الطيب . لم نصل الى هذا المكان الا بعد ان كدنا نفقد الحياة .. اننا على آخر رمق..

صموئيل : (بضحكة صفراوية) ولكن النظام، يا سيدتي، هو النظام...

سعاد : اشفقوا على ضعفنا . واتركونا نمر .

صموئيل : (بحزم) لا مرور ، ولا عبور ..

سعاد : نكس هذه الحربة عن صدورنا . اننا نساء مسالمات ، لا جنود محاربون .

صموئيل : كلكم اعداء لنا .. نساؤكم ورجالكم ، كباركم وصغاركم في العداوة سواء .

سعاد : اذا رجعنا فاننا سننام في ارض مقفرة . ولن نستطيع ان نبلغ خيامنا . هل يليق بالجندي الشريف ان يعامل النساء بقسوة وشراسة ..؟

صموئيل : (يهم بالكلام ـ يتولى الاخر الجواب)

عازار : دعهما لي . ماذا تريدان الان ؟

سعاد : العبور فقط الى تلك الارض العزيزة .

عازار : هل لكما من احد فيها ؟ اهل ؟ اقرباء ؟ اصدقاء ؟

سلمى : كان لنا بيت ..

عازار : هل انتما اختان ؟

سعاد : اجل ، نحن اختان ...

عازار : ولماذا تركتما بيتكما ؟

سلمى : رأينا الناس يخرجون هاربين ، فخرجنا ..

صموئيل : حسنا فعلتما .. (بهزء)

والان ترياق الناس يعودون، فعدتما .

سلمى : الا ليت انها عودة . لكنها زيارة قبور .
عازار : أين بيتكما ؟ لعله قريب من هذا المكان .
سعاد : لا .. انه بعيد .. بعيدا جدا .
عازار : هل هو في يافا ؟
سعاد : لا .. ليس لنا في يافا بيت ..
صموئيل : لعله في عكا .
سعاد : ولا في عكا ..
صموئيل : أفي قرية من القرى ؟
سعاد : لا ... لا ...
عازار : اذا صدق ظني فان لهجتك لهجة اهل حيفا ..
سعاد : نعم ... نعم . صدقت . نحن من حيفا ذات الشريط الازرق.
صموئيل : اوه .. من حيفا .. اذا ، انتما من الفوج الاول من اللاجئين .
سعاد : اجل ، من الفوج الاول ... من اهل النكبة الاولى .
عازار : وماذا تريدان من الذهاب الى حيفا ؟ هل لكما أهل ؟ اقارب؟ اصدقاء ؟
سلمى : ليس لنا احد .. الكل خرجوا لاجئين ..
سعاد : زوجي قتل في الحرب ..
صموئيل : اذا ،ماذا تريدان من زيارة البيت ؟هل تركتما فيه كنزا مطمورا؟
سلمى : (ضاحكة) اي كنز هذا ؟ هل ترانا من اهل الكنوز ؟ لقد تركنا متاعنا .. ثيابنا ، وكل شيء لنا ،وخرجنا بجلودنا .
صموئيل : لعلكما تريدان استرداد هذا المتاع ..
سلمى : في هذا البيت جذور حياتنا ، ورائحة احبابنا .. هل تنسى انت بيتك الذي ولدت فيه ، ونشأت بين جدرانه ؟
صموئيل : المسالة يسيرة .. ستزوران البيت الذي كان لكما بالامس.. ولكن ... غدا .
عازار : بل اليوم .. لقد اثارتا يا صموئيل في نفسي الشفقة..فلنسمح لهما بالعبور .
صموئيل : واين التصريح ؟
سلمى : (تعاود البحث عنه) التصريح كان بيدي .. اين هو ..؟ هل فقدناه في زحمة الناس ؟
صموئيل : بلا تصريح ايضا .. ذلك مستحيل . انني لا اتحمل المسئولية .
عازار : أنا اتحملها عنك ..
صموئيل : كل ذلك ، لانهما من حيفا ..
عازار : انها مدينتي ايضا ، فيها ولدت وفيها نشأت ..
سعاد : ونحن لا نعرف بلدا سواها .
عازار : في اي حي مسكنكما ؟
سلمى : في حي « البحصاصة » عند تلاقي شارع الملوك ..
عازار : وي . ذلك هو حينا أيضا ، وشارعنا .. والبيت ؟
سعاد : على الجانب الايمن ،وأنت صاعد .. ليس بعده بيت ..
عازار : (بنفسه) الهي . أيكون هذا البيت حيث اسكن الان ؟ انا اهلي يذكرون بانه كان للعرب .. وانتزعوه منهم بعدما هجروا اصحابه.
سلمى : بماذا تحدث نفسك ؟ اتحسبنا نقول كذبا ؟
عازار : لا .. لا شيء .. ولكني اتصور كاني أعرف هذا البيت .. له شرفتان احداهما تطل على شارع الملوك ..
سعاد : (بلهفة) والاخرى على الحي العربي القديم .. ؟
عازار : (بنفسه) كانه هو ..
سلمى : وله حديقة سماوية صغيرة .. فيها شجرة برتقال .
عازار : لا تزال ... اخر حبة منها لا تزال محفوظة عندي ..
سعاد : ما أشوقني الى ان احضن هذه الشجرة التي غرسها ابي بيده.
عازار : هل أستطيع مرافقتكما الى البلد ؟ (صمت) لا تخشيا شيئا.
انسي ذاهب الان لزيارة اهلي .. واذا وافقتما كنتما ضيوفا علينا.
سلمى : (بعد الدهشة والحيرة) لنعد يا اختاه ! لا حاجة لنا الى زيارة البيت ، بعدما ذهب اصحاب البيت ..
سعاد : ولكن .. اشعر بارتياح في نفسي الى طيب هذا الانسان .
سلمى : ولكنه انسان عدو لنا ،وليس من قومنا .
سعاد : قد يتجرد الانسان احيانا من كل نزعة، ويتعرى من كل حقد وعداوة ،ويعود انسانا .. الا يمكن ذلك ؟
عازار : هيا . اذا كنتما عازمتين .. هذه السيارة التي ستنقلنا ..
صموئيل : أهنئك بالضيوف يا عازار .
سجل اسميهما هنا . لانني اخشى ان يكون في الامر مكيدة .
عازار : اكتب.في الساعة الخامسة .. ترك الرقيب عازار نقطة المراقبة، بصحبته امرأتان عربيتان هما .. ما اسمك ؟؟
سعاد : سعاد .
عازار : وأنت ؟
سلمى : لا أستطيع ان اعطيك اسمي ...
سعاد : اتركها وشأنها . سلمى .. انها حساسة كثيرا .
عازار : وتوجهوا الى حيفا بسيارة جيب عسكرية ، رقمها ((٣٠٢٥)).
وهذا توقيعي .. انتظراني اعود بالسيارة .. (يمضي والاخر يحمل الضبط ويذهب)
صموئيل : (بهزء) تفقد البنزين جيدا . ان الطريق طويل .. رحلة موفقة يا عازار .
سلمى : (بتردد) لست مرتاحة الى كل هذه المناورات .. انسيت انهم يسبون النساء العربيات ؟
سعاد : ولكني مرتاحة الى الرحيل معه ...
سلمى : ان نفسي تحدثني بان مكيدة تنصب لنا .
سعاد : لا ابرر تخوفك منه .. ليس معنا مال فينهب ، وليس لناجمال يطمعه بنا ..
سلمى : المجرد الشفقة يفعل هذا كله ؟ متى صرنا عندهم أهلا للشفقة؟ والله ، لو تمكنوا من طحن عظامنا لطحنوها .
سعاد : انك تسرفين كثيرا في سوء ظنك . لم ارتح الى يهودي في حياتي كما ارتحت الى هذا الفتى .. ولكني لا ادري اسباب هذا الارتياح .. انه انسان .. هل الانسان يأكل لحم الانسان ؟
سلمى : (ساخرة) حقا ، ان الانسان لا يأكل لحم الانسان جوعا ، ولكنه ، يأكله حقدا وتشفيا ..
سعاد : وماذا بقي من لحمنا يا سلمى ؟
سلمى : ولكن .. لماذا نغامر ؟ ألكي نزور حجارة بيتنا .
سعاد : انك تعلمين السر الذي يدفعنا الى زيارة البيت ..
سلمى : حقا ... وهل لهذا السر من جلاء ؟
سعاد : لا بد ان اجلو هذا السر . عشرين سنة ، وهذا السر ينهش قلبي ألما وعذابا .. أريد ان اريح نفسي من عذابها .. اريد الا أموت قبل ان اكشف هذا ... السر . (هدير السيارة يغطي على كلامها)
عازار : هيا . اقبلا .

المشهد الثاني

المكان ـ « في احياء مدينة حيفا » .وقد اقتربوا من المكان المقصود .

الشخصيات في اللوحة الثانية :
سعاد
سلمى
راحيل (الام)
يعقوب (الاب)
عازار : الجندي الاسرائيلي

« سعاد وسلمى برفقة عازار ،في احياء حيفا » .

سعاد : كم تغيرت المدينة .

سلمى : كأنني لا أعرف مسالكها .من اين جاءت هذه البيوت الجديدة ؟

عازار : (ضاحكا) ان اليهودي بدل كل شيء..من القديم الى الجديد .. بينما انتم تجمدتم ...

سعاد : بلهفة) هذا هو .. بيتنا .

عازار : ألم اقل لك انني اعرفه ؟

سلمى : وهذا الباب ، لم يتغير فيه الا لونه .

عازار : (يفتح الباب) أدخلا ..

سلمى : هذه هي حديقتنا ، كما كانت ..

سعاد : وهذه شجرة البرتقال . ما اعزك على قلبي ايتها الشجرة .

سلمى : (تلمح قطة تتمشى في الحديقة) كأنها هي .. لا شك انها بنت قطتنا « مشموشة » .. ان لها ملامحها ولونها ،ووجهها ... هل تذكرين « مشموشة » وهي تتبع آثارنا ،حين خرجنا ؟

سعاد : ولكنها ظلت في بيتها آمنة ،لم يزعجها ما أزعجنا .

راحيل : (امرأة عجوز تطل من الباب الداخلي) ولدي . لقد عدت الينا سريعا .

عازار : لقد حصلت على اجازة يومين اقضيها هنا ..

راحيل : انها اكبر اجازة نراك فيها بيننا بعد انتهاء الحرب . من السيدتان ؟ كأنهما عربيتان .. أهلا بكما . تفضلا .

عازار : سيدتان لهما امر عجيب في هذا البيت ..

راحيل : لعل البيت بيتهما . تفضلا .

سعاد : اجل ..انه كان بيتنا .. كم يطيب للغريب ان يعود الى بيته !

راحيل : ولكننا لم نستول عليه ،. رأيناه خاليا فشغلناه .

سلمى : ونحن نهيم على وجوهنا في الصحراء بغير بيت ولا مأوى .

راحيل : ليس الذنب ذنبنا .. دعوناكم الى البقاء معنا ، ففضلتم الرحيل .

سلمى : في هذه الساحة كم جلسنا !

عازار : أستريحا قليلا . بغير ذكريات . اماه . شرابا بارداللضيوف.. أين ابي ؟

راحيل : نزل الى السوق منذ ساعة ، ليهيء لنا طعام السبت .

عازار : حقا .. كأنه كان يشعر بحضوري .

راحيل : هل تريدان ان تتفقدا الغرف ؟ ان عيونكما حائرة ..

سعاد : هذا ما يدور في نفسي (يدخلن الغرف بلهفة) . اختاه .هذه هي الخزانة التي طالما علقت عليها ثيابي .. هل تأذنين لي بفتحها؟

راحيل : تفضلي .ان الخزانة خزانتك ..

سعاد : هذا هو ردائي المفضل . رباه .وهذا طقم زوجي عمار ، لم يستطع ان يلبسه يوم العيد .. وهذه ثياب الصغار .. كأن شيئا لم يتغير ..

راحيل : لم تمس منها شيئا .لان ديننا يمنعنا ان ناخذ ما ليس لنا .

سلمى : وهذا البيت ؟.

راحيل : دخلناه بارادة حكومتنا .. ان الذنب يقع عليها .

سعاد : هل أنت عربية ؟ لان هذه الاخلاق اخلاق عربية .

راحيل : (ضاحكة) بل يهودية، نشأت في ارض عربية . اننا من المغرب .. من مدينة الرباط . اتينا انا وزوجي هذه الارض وسكناها .

سلمى : هل لك اولاد غير هذا الفتى ؟

راحيل : (تظل صامتة) .

سلمى : ما لك لا تتكلمين ؟

راحيل : الحق ان ليس لنا اولاد غير هذا الفتى ؟

سعاد : انه من المفجع ان يكون جنديا . الا تخشين ان تفقديه ؟

راحيل : الحرب هي الحرب .. وهي عندكم كما هي عندنا . تأكل الاولاد ... وتثكل الامهات . ما أشقى الامهات اللواتي يقدمن اولادهن للذبح بأيديهن . وانت ،هل لك اولاد ؟

سعاد : لي ولد و ..

راحيل : وماذا ؟

سعاد : وولد اخر لا ادري حتى الان مصيره .

راحيل : لعله أسير لم يرجع .

سعاد : كل ما اتمناه ان أعرف مصيره قبل موتي .

راحيل : اذا لم يكن اسيرا فهو مفقود .

سعاد : لو كان اسيرا لعاد ..ولو كان مفقودا لعرفنا خبره .

راحيل : لا افهم كلامك .. أفصحي . امهاجر ؟

سعاد : ليته كان مهاجرا .. ولكن ..

راحيل : تكلمي . انك تثيرين في نفسي الشفقة .

سعاد : لقد كنا في هذا البيت، يوم حلت النكبة ..

كان الرصاص يئز في هذا المكان ، وفي كل مكان .. والناس يرحلون بلا بيوت .. مشاة وراكبين ومبحرين . كان لي ولد صغير .. يلعب خارج البيت.. انتظرت عودته .. وفجأة دخلت علينا فئة من رجال الهاغانا ، بأيديهم البنادق المشرعة .. والحراب المصوبة .. توسلت لهم ان يتركونا . ولكن عيونهم كانت مقلوبة من الغيظ .. ونفوسهم متعطشة الى الدم .

طلبوا من زوجي ان يستسلم .. لكنه ابى الاستسلام ..

راحيل : ولماذا ابى الاستسلام ؟

سعاد : انه يعلم انه الموت .. سواء حارب او استسلم .. والعربي يأبى ان يموت كالنعجة المستسلمة .. قاوم ، وتبادل معهم الرمي .. قتل منهم اثنين .. ولكن خانه الحظ بعد ذلك ، فاصابته رصاصة طرحته ارضا .. ويده على الزناد .. كأني بدمائه اراها تسيل الان على جذور هذه الشجرة . انني اراها حمراء ..

راحيل : ولكنها ليست بحمراء ..

سعاد : انك لا تدركين ان قطرات الدم لا تنشف . كان دمه يسيل هذه اللحظة امام عيني .

راحيل : وبعد ذلك ؟

سعاد : اشفقوا على حياتنا .. وطردونا من البيت .. وهمنا على وجوهنا ، انا وولدي الاخر ، واختي مع اللاجئين واللاجئات .

راحيل : والصغير الثاني كيف تركته ؟

سعاد : لا شك ان الاقدام قد داسته ، او طلقات الرصاص اسكتته الى الابد .

راحيل : (بأسف) . ليس صغيرك بالوحيد الذي تركه اهله .. كم من صغار لنا ذهبوا .

سعاد : ولكن .. لعلك رأيت صغيرا قابعا على الباب يبكي ؟ ينادي امه وابـاه .. تكلمي . هل رأيت ذلك ؟

عازار : (يدخل ومعه اكواب الشراب) اطلت الغيبة في تحضير الشراب . تفضلوا . (طرق باب) .

راحيل : افتح الباب لابيك يا عازار . (يذهب عازار الى الباب) وهل تعرفين ولدك اذا رأيته بعد هذا الفراق الطويل ؟

سعاد : (بلهفة) وهل تنسى الام رائحة لحمها ؟

راحيل : هل تذكرين علامة في جسده ؟

سعاد : لن انسى الخال الاسود على كتفه اليمنى .

(يدخل الاب وعازار)

راحيل : (برجفة ، مشيرة الى عازار) هذا هو ..

سعاد : (برجفة ودموع) .ولدي . ولدي سمير .. (تحضنه وتقبله) هذا أنت .. ما كذب ظني .. كنت اراك حيا في خاطري ..

عازار : (مرتبكا) من أنت ؟ ماذا تدعين ؟

سعاد : (تكشف القميص عن كتفه) ارني الخال الاسود على كتفك . هذا هو .. اين كنت يا ولدي ؟ ما اشقاني بك ! وماأشقاك بي!

يعقوب : لعلها امه الحقيقية .

سعاد : لقد فكرت في ان الشمل سيجتمع يوما .. الاحياء لا يضيعون بعضهم بعضا ابدا .. كيف كان ذلك ؟

راحيل : اتذكر ذلك .. دخلنا البيت .. وكان خاليا الا من قطة وحشية ملأت البيت مواء وعويلا . رأينا هذا الصغير على الباب يموء كقطة ضائعة ..

ادخلناه .. كم كانت الليلة الاولى قاسية . لم يتركنا ننام .. ليس لنا اولاد .. تبنيناه ، وانقذناه من هول المجزرة .. ولم يكن من الوعي حتى يحفظ امه .. ان النكبة تذهل الام عن ولدها . وفي الحق لقد كانت كل من تضحك له اما ، كل من تطعمه يراها اما ..

سعاد : فتشت عنه في الزحام ، على الدروب ، في وجوه الصغار المشردين ، في خيام اللاجئين .. في كل مكان .. ومع ذلك لم أيأس .. حتى اوقعني القدر عليه ، كأنه كان يشدني اليه .. الم اقل لك يا اختاه حين انطلقنا معه ، ان شعورا غريبا ، خفيا جعلني ارتاح اليه ؟ بماذا تعللين ذلك ؟

راحيل : لا شك ان هناك مشاعر خفية تقودنا الى مصيرنا ، دون ان ندرك خفاياها واسرارها .. (تتابع) ونما الصغير في احضاننا ، لا يعرفني الا اما ، ولا يعرف زوجي هذا العجوز ، الا ابا ... وقليلا قليلا ، ألفنا والفناه .. احبنا واحببناه ، دون النظر الى اسباب العداوة بيننا . ان العداوة تمحي احيانا حين يتجرد الانسان من اهوائه الكاذبة ..

سعاد : وهل كنت واثقة بانه ابن عائلة عربية ؟

راحيل : كل شيء فيه .. ملامحه ، ثيابه ، هيئته تدل على انه ولد عربي .

سعاد : ومع ذلك حضنتماه ..

راحيل : قصة النبي موسى تتكرر .. هل تتذكرينها كما اتذكرها ؟ انها في قرآنكم كما في توراتنا . التقطته امرأة فرعون ، وكانت عاقرا ، ليكون ولدا لها .. بالرغم من ان منجمي فرعون حذروه من كل ولد ذكر يولد تلك الليلة .. لقد نجته ، وعطفت عليه ، وربته ، وانشأته حتى صار رجلا ..

سلمى : ولكن موسى ، بعد ذلك ، عادى فرعون ، وتنكر لشعب فرعون .

راحيل : هل تريدين ان تكون قصتنا كقصة موسى ؟

انه لم ينس دمه بعد ما عرف أصل دمه ، وعاد الى شعبه حين عرف شعبه ، وتألب على اعدائه واعداء شعبه ..

سعاد : هل تتكرر القصة ؟

عازار : اماه . لا استطيع ان اكون مثل موسى .. ليست الابوة والامومة الا قيودا يمكن ان يتخطاها الانسان ، كما يتخطى بقية العواطف . انا لا اعرف ابا غير ابي هذا ، ولا اعرف اما غير امي هذه .

راحيل : لماذا لا تبقين هنا معنا ؟ وطنك حيث يقيم ولدك .

سعاد : هل يكون الوطن مجرد عملية انتقال من مكان الى مكان ؟ هل نستطيع ان نقتلع جذورنا من تربة عميقة ، وننقلها الى تربة غريبة لا عهد لها بها ؟

راحيل : نعيد اليك البيت ، وهذه مفاتيحه .. لا نريد ان نفصلك عن ولدك .

سعاد : لا يقيم العربي الحر تحت راية اسرائيل . البيت لا يكون بيتنا الا تحت رايتنا العربية .

راحيل : عازار ولدي . لقد سمعت ، وعرفت الان انك من اصل عربي ، لا من اصل يهودي .

عازار : لا شأن لي بذلك .. هل تريدين الانفصال عني ؟ أليست الارض لمن يحرثها ؟ والاودية لمن يرويها ؟ كذلك الولد لمن ربته ، وتحملت الآلام من اجله ..

سعاد : هل يكون الولد بمنزلة الارض ؟ لست عندي ارضا املكها ، ولا حجارة اجمعها .. وانما انت بضعة مني .. من دمي ، من قلبي .. ما اقسى هؤلاء الذين يريدون ان يجعلوا من الاولاد قطعانا . انت لست جسدا ودما فقط .. انما انت روح .

عازار : لا استطيع .. لا استطيع .

سعاد : يجب ان تعود معنا الى مرابع اهلك ، بعد ما عرفت اصلك . هنالك امك ، اخوك .. فواز ، فواز لو رأيته شابا .. عشيرتك ، امتك ..

راحيل : ليس من حقنا ان نتمسك به . انه حر في اختيار الوطن الذي يريده .. انني امه مثلك .. ولو كنت اما معارة .

سعاد : تذكر يا ولدي انك عربي ، لا اسرائيلي .. تذكر ان دمك عربي لا يهودي . كل شيء فيك عربي .. (يتأمل عازار مضطربا) هل تريد ان تعيش شخصا زائفا ؟ هل تريد ان تشهر بندقيتك غدا على اخيك ، وابناء عمك ، ووطنك ؟ هل تريد ان تقتل ؟ هل تريد ان تنهش لحمك باسنانك ؟

عازار : اماه . لقد فات الاوان ، وقال القدر كلمته .. كل شيء هنا يتمسك بي حتى الخناق ..

سعاد : اذا خلعت هذه البزة عدت عربيا ، لا شيء يجعلك اسرائيليا الا هذه البزة . اخلعها . اطرحها . وعد الى حضن امك التي تألمت عشرين عاما . (تبكي) .

عازار : لا اقدر .. لا اقدر . اعذريني واتركيني .

سعاد : ما اتيت الا لابحث عنك ، ما تمسكت باسباب الحياة الا طمعا بأن اجدك .. الا ليتني لم اجدك ! لماذا وضعك القدر في طريقي ؟ أعبثا اراد القدر ان القاك ؟ ماذا اقول غدا لاخيك واهلك ؟

عازار : لا تقصي لهم شيئا . لا تحدثيهم بما كان .. رواية عاشت لحظة وماتت .

سعاد : (بعد صمت قاس) اذا ، أعدنا الى الحدود .

عازار : لا يمكن . تبيتان هذه الليلة معنا .. وغدا ..

سعاد : كيف ابقى مع من ينكرني ؟ وينسى رائحة لحمي ؟ هل ولدتك لعنة يوم ولدتك ؟

يعقوب : لعلك تريد ان تسايرنا يا عازار . ان نداء الام أقوى من ندائنا . ليس عليك الا ان تسير اذا شئت المسير . ليس وراءنا ما نخاف عليه .. اقتلنا اذا شئت وانتقم . ان حياتك المتألمة ليست الا ثمرة جريمة شعبنا البشعة الذي ذاق الالم ولم يحترم الالم عند الاخرين .. ان الحياة بالنسبة الينا قد انتهت .

عازار : رباه . لو كان لي قلب موسى لفعلت .. ولكن حنان الصدر الذي حماني حيا اقوى من البطن الذي حملني وتركني ضائعا .

راحيل : ولكن .. لم يبق فيك خير لنا ولاسرائيل .. انني اعلم انك لن تطلق بعد اليوم طلقة واحدة في صفوف اعدائنا ، لانهم اهلك وقومك .

عازار : كما اني لن اقتل اسرائيليا .. لن اقتل الا من يريد ان يقتلني دفاعا عن نفسي .. والاخ قد يقتل اخاه في حالة الدفاع عن النفس .

يعقوب : الكل يريد ان يقتلوك .. لانك اصبحت تحيا للاشيء .. يجب على انسان اليوم ان يقتل لكيلا يقتل . ما اقسى وحشية انسان هذا العصر .

عازار : لا .. لا لم تبق لي رغبة في القتل . هل نعيش لمجرد القتل ؟ الى متى نغذي هذا الجيل الذي حقت عليه اللعنة بهذه الافكار ؟ هنالك حق يجب ان يحترمه القوي ، كما يؤمن به الضعيف .

يعقوب : ما اسرع ما اصبحت فيلسوفا حكيما ايها الصغير ! انك عازم ان تتركنا ؟ هل تنسى احساننا اليك ؟

سعاد : قد يقوم الانسان بالاحسان احيانا ، لا حبا بالاحسان .. ولكن ليملأ فراغ حياته .. انكم بسبب هذا الفراغ اشفقتم على ذلك الصغير الضائع .

راحيل : حقا ... نحن عقيمان .. ليس لنا ولد من نسبنا ، فاتخذنا

ولدا بلا نسب . ولكن مـا هو النسب ؟ احاسيس تمشي في الدم، حتى تستقر في النفس .

عازار : (يخبط بيده) لماذا اشفقتما عليّ ؟ لماذا لم تتركاني اموت في الطريق ، كما تموت القطط المنسية ؟ كم ابدو حقيرا الان ، لاني حييت بفضل اعدائـي .

راحيل : وانا ، كم ابدو كبيرة لاني عطفت على ولد من اعدائنا ،وغمرته بحبنا . انك احببتنا لانك لا تعرفنا ، ونحـن احببناك ، ونحـن نعرفـك ..

عازار : اماه . لا اقدر .. اشفقي على تمزق نفسي ،وعذاب ضميري. لا استطيع ان اترك هذا البيت .. وهذه البرتقالة .. اخـر برتقالة في شجرتنا ، احمليها ذكرى حية مني . عودي الى اهلك. واعتبريني ميتا من الاموات . (يخبط الباب ويمضي) .

سعاد : انني ساتركه .. واعود الى عذابي .. سلمى . اين انت ؟ماذا تصنعين هنـاك ؟

سلمى : (قادمة ، بيدها لعبة رشاش صغير)

سعاد : ماذا تحملين بيدك ؟

سلمى : هل نسيت هذا الرشاش ؟ اشتريته له في يوم عيد مولده .. هل تذكريـن ؟

سعاد : الرشاش الصغير . لقد كان لعبة ، فاصبح آلة جهنمية ..كان حامله صغيرا ، فصار كبيرا ..

راحيل : لماذا لا يبقى الرشاش صغيرا بأيدي الكبار ؟

سعاد : ان الرشاش ينمو ويكبر كما يكبر الصغار .. ليسه لا يكبر ولا يكبـرون .

راحيل : اظن انه لا يزال ينفث النار.. (تجرب فتخرج منه السنة النار)

سعاد : لا .. لا تطلقي . انني اسمع صدى طلقاته على الحدود ..في صدور الصغـار .

راحيل : (تقذف به) الى الجحيم ، ايها الرشاش الاثيم .انك ما زلت تكبر ، حتى رحت تفتك بمن يحملك ..

سعاد : لا ... لا .ليس الذنب بذنبه . انه هو آلة ناعمة ، عمياء .. لكن الطمع في الانسان هو الذي يحركه ضد الانسان ..

راحيل : انني اخشى ان يقتل يوما ولدي ..

سعاد : ولـدك ؟

راحيل : انه ولدنا ما دام عندنا ..

سعاد : انني ساتركه لك .. وامضي في طريقي .. ولكني اشعـر بانه سيجيء يومـا يطرق بابـي ..

راحيل : ان خاطري يحدثني بان عيوننا لن تقع عليه بعد اليوم .

(هدير السيارة خارج الباب ـ وانطلاقها) . ولدي .

سعاد : ولدي .. اتتركني ها هنا وحدي ؟

(تخرج مع سلمى للحاق به)

المشهد الثالث

المكان ـ في مخيم اللاجئين .. خيام منصوبة هنا وهناك ..

الشخصيات في اللوحـة الثالثـة :

سعـاد

سلمـى

فواز ـ ابن سعاد (من الفدائيين)

بشار ـ صديق لفواز (من الفدائيين)

سعاد : اذلك حلم يا اختـاه ؟

سلمى : ليتنـا لم نصل،ولم نعبر الحدود .

سعاد : لست بنادمة على شيء .. ان السر الذي ثقل علـى صدري عشرين عامـا قد انجلـى .

سلمى : ولكن .. ليتخذ صورة اخرى اكثر ايلاما . الا تعتقدين بانـك ستعيشين موزعة النفس ، كلما طقت طلقة وراء الحدود ؟

سعاد : ماذا اقول لولدي فواز ؟ وماذا يصنع اذا علم بذلك ؟ ماذا يقول اهل المخيم اذا اطلعوا على الحقيقة ؟ فواز في منظمة فتح ،واخوه سمير فـي جيش اسرائيل ..

سلمى : ذلك سر يجب ان يبقى وراء صدرنا .

سعاد : لكن .. هل اقدر؟تصوري بندقيتين محشوتين، يحملهما اخوان، يتجابهان في مأزق الموت ، يجهل احدهما الاخر . كلاهما يريد ان يقتل الاخر . كلاهما يريد ان يقتل اخاه . لا استطيع .. لا استطيع ان اتصور ذلك .

فواز : (داخلا) .آه . امي . خالتي . متى عدتما . لقد تركتمانـي مضطربا في امركما . هل بلغتما حيفا ؟

سلمى : نعم .. انها مدينة تغيرت معالمهـا . كنـا كاننـا ضائعتـان في شوارعهـا .

فواز : وهل دخلتمـا البيت الحبيب ؟ هل تغير البيت حين تغيرسكانه؟ يقولون : ان البيوت نفسها تحزن حين ينزح عنها اصحابها ..

سعاد : لم يزل كعهدك به..لكن جدرانه باهتة ، وخشب نوافذه متآكل.

فـواز : والحديقة التي طالما ركضنا فيها .. وشجرة البرتقال العزيزة ؟

سلمى : لا تزال حانية على ارضها .. وهذه اخر برتقالة تحملها ..

فواز : (يتناول البرتقالة ويشمها) ماذا اشم فيها ؟ كانهـا تحمـل ارضنا كلها . (يضعها) ومن يسكنه بعدنـا ؟

سعاد : زوجان عجوزان ..اصلهما من يهود المغرب ، لكنهما طيبا النفس.

فواز : طيبـا النفس ؟ وهل فيهم طيب النفس ؟ ان الهرة تخفي تحت قوائمها الناعمة مخالبها الحادة .

سعاد : لم نر لهما مخالب .. لقد عرضا علينا ان نبقى في البيت .

فواز : وبماذا اجبتمـا ؟

سلمى : لا معنى للبيت تحتراية اسرائيل .

فواز : احسنت يا خالتي . ان الفدائيين وحدهم هم الذين سينزعـون هذه الراية عن البيت .. وكل بيت عربي ...

سعاد : هل تعتقد بانك سترى هذا البيت بعينيك ؟

فواز : ليس المهم ان أراه انا بعيني ، لا بد ان جيلا اخر سيأتي ، ويصل الى هذا البيت .

سلمى : اراك مدججا بالسلاح .. ما هذا ؟ بندقية ؟ قنابل يدوية ؟

فـواز : لقـد وقعت القرعة الليلة على فرقتي ..

سعاد : القرعة ؟ ما هذه القرعة ؟

فواز : سنهاجم الليلة نقطة مراقبة العدو على الحدود .

سعاد : (بلهفة وتأثر) ماذا تقول ؟ لا .. لا .. ليس لي سواك . في تلك الحرب فقدت اباك، وضيعت اخاك . واليوم .. اتريدني ان احيا تكلى وحدي .. اجتر ،بقية قمامة الناس ، في اواخـر ايامـي ؟ لن تتركنـي ؟

فواز : (ببرودة) كاني بعزمك قد انطفأ . اراك تبدلت . بـالامس ، رحت تضعين البندقيـة على كتفـي .. تهزينني اذا نسيت . توبخينني اذا توانيت .. هل تخافين عليّ الموت ؟

سعاد : ليس الموت هو الذي اخافه .. وكلنا واصل اليه .

فـواز : تخافين شكل الموت الذي ينتظرني ؟

سعاد : الجثة لا تتالم بعد الموت .

فـواز : ان شيئا ما غيّر نفسك ..اخبريني ماذا رايت فـي ارضنا المحتلة ؟. ها .. ها لعل طيف اخي الصغير اطل عليك في المكان الذي تركناه فيه ..

سعاد : اخوك الصغير .. هل تعتقد بانه مات ؟

فواز : هل عرفت انه قتل قتلا،او ذبح بخنجر ؟

سعاد : لا .. لم يمت ،ولم يقتل .

فواز : لم يمت ، ولم يقتل ... اذا ، هو حي . ويحك يا اماه . ماذا تقولين ؟ هل اخي هنالك يحيا ؟ هل هو حي حتى اليوم ؟ لا

اصدق .. لا اثق .. مستحيل .. الا يزال حيا ، بعد عشرين سنة حيا . ألم يعرفوا انه من اصل عربي ؟ يكفي ان يعرفوا ذلك حتى يخمدوا انفاسه .

سعاد : انه حي ... حي يا فواز .

فواز : وانى عرفت ذلك ؟ هل رأيته بعينيك ؟ هل لمسته بيديك ؟ هل شممت رائحة لحمه العربيـة ؟

سعاد : اجل .. رأيته بعيني ، ولمسته بيدي ، وشممته بروحي .

فواز : أهو سمير ...؟

سلمى : انه سمير يا فـواز ، ولكنه في العشرين من عمره .

فواز : هل عرف انك امه ؟

سعاد : اجل .. قد عرف .

فواز : ولماذا لم يعد معكمـا ؟

سعاد : لانه مات هذه المرة ، بين ايدينا ، ميتة حقيقية .

فواز : مات .. كيفمات؟ هل اطلقوا عليه الرصاص فيطريقالعودة؟. اصدقيني الخبر . يكاد هذا الكلام يخرجني عن شعوري .

سعاد : (بلهفة ، ولهجة متقطعة). سلمى . سلمى . اخبريه كيفمات. انا لا استطيع .. لا استطيع. ليتني لم اره . لم المحه .لماعرفه. ليتني كنت انا في عالم الاموات . (تقع مغشيه عليها)

سلمى : الماء . الماء . (تنضح الماء على وجهها ، لتستعيد وعيهـا شيئا فشيئا ـ همس بيـن سلمى وفواز على ايقاع خفيف من موسيقى حزينة .. بينما الوجوه تتبدل ملامحها معبرة عما كان)

فواز : الان ادركت السر يا اماه . انه حقا مات .. مات بالنسبةالينا. ولكن ، الم تطلبي اليه ان يعـود ؟

سعاد : لقد ابى آن يعود .

فواز : لعله كان حريصا على احترام مشاعر من انقذاه من الموت وربّياه

سلمى : انهما تركا له حرية الاختيار ..

فواز : اهذا ما اختاره لنفسه بنفسه ؟

سعاد : اجل .. انه اختار البقاء بجانبهما .

فواز : كيف طاوعته نفسه ان يكون جنديا في جيش اسرائيل ؟ الميدرك الى آين يوجه بندقيته بعد اليوم ؟

سعاد : هذا ما جعلني أعتقد بانه اصبح جثة ميتة .

فواز : (بحزم) لا ... لا يمكن . انه لا يملك حرية البقاء ، لانه لا يملـك نفسه بعدما عرف نفسه .

سعاد : وماذا تريد ان نصنع ؟

فواز : يجب ان يعود طوعا او كرها .. حيا او ميتا . (يدخل الرفيـق بشار) .

بشار : فواز . أين انت يا فواز ؟

فواز : فواز هنا ..ادخل يا بشار .

بشار : اراك تخلفت عن الموعد . والجماعة طال منهم الانتظار .

فواز : حقا .. لقد طال تخلفي عنكم .. أين تركت الجماعة ؟

بشار : قريبا من الحدود .. وهم ينتظرونك للانقضاض .

فواز : آنا مستعد .. ولكن ..

بشار : ولكن ماذا ؟ انك على غير عادتك .. هل حدث شيء ؟امكمضطربة .. وخالتك كئيبة .. لعلهما تمانعان في ذهابك . باستطاعتك ان تبقى ، وانا اعتذر للجماعة عنك .

فواز : انك تتعمد اهانتي .

بشار : لا اقصد ذلك . ولكن الام تتشبث بولدها اذا كان وحيدا .

فواز : ان بلادنا اليوم هي امنا الحقيقية ، وكلنا ابناء لها .هـي لا تفرق بين احد منهم .

بشار : اريد ان اسمع ذلك من امك ، ماذا تقولين يا اماه ؟

سعاد : كلكم اولادي .. كلكم اولاد بلادي .

فواز : ولكن .. اطلب مساعدتك.

بشار : مساعدتي ؟ كلانا يساعد الاخر .

فواز : بشار ! نحن امام مشكلة خطيرة لا يحلها الا المخاطرة .

بشار : افصح يا فواز .ما هذه المشكلة التي تعانيها ؟

فواز : كان لي آخ اصغر مني.. فقدناه في نكبة ١٩٤٨ حين انطلقنـا لاجئيـن ، حسبناه مفقودا . واليوم علمنـا انه حي .

بشار : حي .. يا للبشرى . واين هو الان ؟ ترك اهله صغيرا ،ليلقاهم شابا كبيـرا .

فواز : ولكنه جندي في صفوف اعدائنا .

بشار : ماذا تقول ؟ هل انت جاد فيما تقول ؟

فواز : كل الجد .

بشار : ومن دلكم عليه ؟

فواز : امي .. وقعت عليه بطريق المصادفة .. حين زارت بيتنا القديم .. وتحسست آثاره .. وشاء القدر ان تراه .

بشار : وهل عرف الحقيقة ؟

فواز : انه عرفها .. وانكرها .

بشار : اتطاوعه يده ان تطلق النار على قومه واهله ؟

فواز : لم تعد يده تستطيع ان تفعل غير ذلك .. تريد انقاذه .. تريد اعادته الينـا بـأي ثمـن .

بشار : واذا لـم يعـد ؟

فواز : نعيده ميتا .. ان شرفنا لا يسمح لنا بان يبقى حيا في صفوف الاعداء ، يسلط النار علينا .

بشار : واين هـو ؟

فواز : في نقطة المراقبة .. حيث نتجه الان .

بشار : ما اقربه هدفا لنا ! وكيف نهتدي اليـه ؟ ونميـز بينه وبيـن من معـه ؟

فواز : (لامـه) هل عرفت اسمه الحالي ؟

سعاد : يدعونه « عازار » .

بشار : وشكلـه ؟

سعاد : طويل القامة ، نحيف البنية ، اسود العينين .. فيه مشابه من اخيـه .

بشار : ولون بشرته ؟

سعاد : هل يمكن ان يكون الا آسمر ؟

بشار : من هذه العلامات يمكننا ان نميز شخصه . لنضع خطتنا للعمل!

فواز : الخطة موضوعة .. سأفاجيء النقطة بسلاحي ، وانزع منهـم سلاحهم . واطلب اليه ان يتقدم امامي ، بينمـا انت تحميظهري. وتراقب كل حركة خلفـي .

بشار : لعينيك يا فواز . انها خطة محكمة .. وستري في جماعتنا من يساعدك .

فواز : لا اريد غيرك مساعدا .. ولينطلق كل فدائي في سبيله .

بشار : واذا اصر على المقاومة ؟

فواز : جندلته برصاصة منهذه البندقية .

سعاد : (بلهفة) لا .. لا يا فـواز .

فواز : لا بد ان آتي به .. من العار علينا ان يبقى في صفوفاعدائنا. لنقتله قبل ان يقتل احدا منا .

سعاد : انك تريد ان تميته مرة ثالثة .. يكفي انه قد مات مرتين .

فواز : في المرة الثالثة يموت بدناءة ، لنحيا بشرف .

سعاد : انك لا تستطيع ان تتهمه بالخيانة .. لست تدري كيفيحياالان. ان عذاب النفس امر من عذاب الجسد .. ليس الذنب ذنبه .انه رأى اما حنت عليه فاختارها ، وعاش في ارض لا يعرف سواها وطنـا لـه .

فواز : قد يكون ذلك صحيحا لو لم يعرف الحقيقة .
سعاد : انه عاهدني بألا يشهر بندقيته على عربي .
بشار : اذا ، ستكون هذه هي العلامة الفارقة . الجندي الذي لا يشهر بندقيته علينا لن يكون الا اياه ..
فواز : لقد طال تأخرنا .. هلم يا بشار .
سعاد : ولدي . اياك أن تطلق عليه النار .. انه اخوك من لحمك ودمك .. انه ولدي . انك لن تقتل جنديا اسرائيليا اذا قتلته .. انك ستقتل ولدا صغيرا لا يزال عمره عامين .. ولدي . لا تنس البرتقالة .. اذا رآها فانه يعرفها . (ينطلق فواز وبشار) (يحمل فواز البرتقالة) ولدا صغيرا .. آه ما اوجع موت الصغار . سلمى . سلمى . لماذا كشفنا له السر ؟
سلمى : اطمئني يا اختي . ان قلبي يحدثني بانه سيكون بيننا حيا بعد ساعة . اعدي له لباس الفدائيين .
سعاد : (ببكاء) آلهي . اذا حكمت عليه بالموت ، فلا تمته الا بلباس فدائي .

المشهد الرابع

المكان ـ في نقطة مراقبة اسرائيلية على الحدود .

الاشخاص في اللوحة الرابعة :
عازار ، صموئيل ، موسى : ثلاثة جنود اسرائيليين ، سبق نعت الاول والثاني ..
الملازم : آمر الدورية الاسرائيلية ..على وجهه صرامة.
فواز
بشار
سمير : (بعد تبدل اسمه عن عازار)

« الرياح في الخارج تعصف بشدة »
« صموئيل وموسى يشربان النبيذ ـ بينما عازار متكيء على سريره »
صموئيل : لماذا لا تشرب يا عازار ؟ الا تريد ان تشاركنا ؟
موسى : انني اراه الليلة على غير عادته .. بالامس ، كان يشرب ويطرب.
صموئيل : انزل يا عازار . واشرب من هذا البنيذ المعتق . الا تشعر بلذع البرد في هذه العاصفة المجنونة ؟ (عازار صامت ، لا يتحرك)
موسى : انه لا يريد ان يتكلم .. لعله يخاف ان يفاجئنا الفدائيون .
صموئيل : الفدائيون ؟ دع عنك شأن الفدائيين . انهم لا يستطيعون ، هذه الليلة ، ان يمدوا انوفهم من منافذ خيامهم المثقوبة ..
موسى : ويل لهؤلاء الفدائيين .. المخربين . ماذا يريدون من غاراتهم اللصوصية ؟
صموئيل : انهم يظنون ان بامكانهم ان يجلونا عن المواضع التي احتللناها في حربنا معهم .
موسى : ليتهم يفكرون في هذا فقط ! انهم يريدون ان يجرفونا الى البحر.
صموئيل : (بضحك وهزء) أرادوا ان يجرفونا فجرفناهم .
موسى : ويل لهؤلاء المخربين ، ما اعندهم !. لقد هزمنا جيوشهم ، ولكنهم لا يريدون ان يعترفوا بالهزيمة ..
صموئيل : وماذا يهم ؟ اعترفوا او لم يعترفوا . اننا باركون على صدورهم ، مالكون لنحورهم .
عازار : (بشدة) . والى متى نستطيع ان نبقى باركين على صدورهم ؟ الى متى ؟
صموئيل : (ضاحكا) واخيرا ، تكلم عازار .. الم اقل لك انه خائف على روحه ..؟
عازار : ليس الموت هو الذي يشغلني .. ولكن ما يخيفني اننا طلبنا السلام من وراء هذه الحرب ، فلم نحصد الا القلق والخوف . هل تجدون النوم ممكنا بأمان ، على فوهة البركان ؟
موسى : (بهزء) البركان ؟ اسمع يا صموئيل . واي بركان هذا ؟ كنا نحسبه بركانا مشتعلا ، فاذا هو بركان يتثاءب من النعاس .
عازار : لا تزال امامنا الصحراء .. الصحراء اللاهبة التي لا تعرف لها نهاية . لو زرعناها جنودا لما استطعنا ان نقهرها . انها ، منذ القدم ، تبتلع من يدخلها . (الريح تعصف وتزداد شدة) هذه هي الريح التي تصفر ، ولا تقهر .
صموئيل : بماذا تحدثنا صحراء سيناء ؟ ان كتائبنا المدرعة حرثتها حرثا ، وزرعتها جثثا واشلاء .
عازار : لقد تهنا فيها مرة وخرجنا منها .. واخشى ، هذه المرة ، ان نتيه فيها ولا نخرج .
موسى : الحق ، يا صموئيل ، ان عازار ، منذ رافق هاتين المرأتين ، قد تبدل ..
صموئيل : (بضحك) لو كانتا جميلتين لقلت انه وقع في اسر الحب .
موسى : (بسخرية) الحب ؟ قد يحب الرجل الكبيرة ، كما يحب الصغيرة .
صموئيل : لنشرب ، اذا ، نخب هذا الحب !
عازار : (يخبط) امسكا الكأس . ان المأساة هي المأساة . انني لا ارى في هذه المأساة الا مأساة الشعب اليهودي نفسه .
موسى : ها .. ها .. هو عامل الشفقة والعطف على المنكوبين . يالك من رجل انساني يا عازار . ما كنت اعرف انك تضم هذا القلب الانساني !
عازار : اليست مأساتنا هي التي جمعت قلوب العالم علينا ؟ فهل تنكرون ان تجمع مأساة العرب قلوب العالم عليهم ؟ أتكون مأساتنا انسانية ، ومأساة العرب زائفة ؟
صموئيل : ماذا تريد ان نصنع بمأساة غيرنا؟ دعوناهم الى السلام، فابوا.
عازار : هل دعوناهم ان يعودوا الى بيوتهم بسلام ؟
موسى : (يصفق بيديه) هذا كلام خطير ، لا يجدر باسرائيلي ان يفكر فيه . انه خيانة لاسرائيل .. خيانة للدماء التي سفكناها ..
صموئيل : (بخوف) أسمع حركة في الخارج .. تهيأ يا موسى . البندقية . عازار . كن مستعدا . واتبعنا . (يخرج موسى وصموئيل)
عازار : (بنفسه) لن اتحرك من مكاني . لماذا اتحرك ؟ لماذا احمل بندقيتي ؟ من هم الذين أطلق ناري عليهم ؟ انهم قومي .. انهم أهلي .. الا يكفيهم ان يموتوا بأيدي أعدائهم ، حتى يموتوا بايدي ابنائهم ؟ (يعود موسى وصموئيل)
موسى : كأن العاصفة تريد ان تسخر منا .
صموئيل : لا شيء في الخارج الا الظلام .. والريح التي تضحك ..
موسى : (يضع بندقيته جانبا) أعن خوف ام ثقة لم يتحرك عازار من موضعه ؟
صموئيل : حين يغمر الشك قلب المحارب يفقد مزية القتال .
موسى : ولكنه الآن لا يحارب من اجل قضية .. انه ينبغي له ان يحارب من اجل سلامة روحه .
عازار : هذه هي العلة التي تواجهنا جميعا .. كثيرون من الذين يتوهمون انهم يحاربون من اجل قضية ، انما يحاربون من اجل السلامة من القتل .
صموئيل : لو فاجأك العدو الان ؟
موسى : اطرح عنك ايمانك بالقضية التي تكافح من اجلها او عدم ايمانك بها.
صموئيل : كيف يكون موقفك ؟ الا تدافع عن حياتك ، عن وجودك ؟
عازار : سأدافع عن حياتي ، بغير شك .. ولكن كل رصاصة تصيب عدوي ، انما تصيب قلبي ، تصيب المثل الاعلى .. تصيب قلب الانسانية . اذا عشت بعدها عشت محتقرا لنفسي ، واذا مت مت بلا هدف .
(الرياح تعصف) .

ـ التتمة على الصفحة ٦٥ ـ

الـدم لا يصير مـاء

ـ تابع المنشور على الصفحة ١٤ ـ

صموئيل : أشرب يا موسى . ودع عازار في هذيانه . ان البرد يكاد يجمد الحراقي ، بمقدار ما يحرك لسان عازار .. لا ادري ،لماذا يمنعوننا ان نوقد النار ؟

موسى : النار ؟ أتريد ان ندل العدو علينا ؟

صموئيل : حقا .. ان النار احسن هدف للمتسللين . (يخرج عازار جريدة) ماذا في الجريدة من اخبار ، يا عازار ؟

عازار : الاخبار هي هي لا تتبدل .. كأنها نسخة واحدة تطبع كل يوم. مطلبهم تنفيذ قرار مجلس الامن ،ومطلبنا الاعتراف بنا ضمن حدود آمنة . والمفاوضات المباشرة .

موسى : (بمكر) يعني هذا اننا لن نرجع عن خط وقف النار .

صموئيل : كثيرا ما يصبح هذا الخط مبدأ الاعتراف بالحدود الجديدة .. ان اسرائيل ينتفخ بطنها بعد كل معركة ، كالمرأة الحبلى.. (ضحك) اليوم الضفة الغربية ، وغدا الضفة الشرقية . اليوم امام القنال ، وغدا وراء القنال .

عازار : كل هذا لا قيمة له ، اذا لم نصل الى السلام .

موسى : يالك من فتى خرف ، يهرف بما لا يعرف . اي سلام هذا ؟ السلام خرافة .. سلام الضعيف غير سلام القوي . يطلب العالم السلام منذ كان ، ويدرك كل شيء الا السلام .

عازار : لو ادرك حكام اسرائيل الواقع لوافقوا على سلام ليس فيه قوي ولا ضعيف، ولا ظالم ولا مظلوم .

صموئيل : وماذا عن انباء المخربين ؟ هات الجريدة . (يقلبها) . انباء المخربين : « اصطدمت سيارة عسكرية بلغم ، الاصابات: جندي واحد اصيب بجراح خفيفة » .

عازار : برافو ! ان ملائكة اسرائيل تحمينا .

صموئيل : « دورية من دورياتناوقعت في كمين للعدو ، تبادل الطرفان اطلاق النار مدة ساعتين ، اصيب احد رجالنا بجرح طفيف في يده ، وفر العدو تاركا قتيلين ، وكمية من الذخيرة ، وبندقيتين من طراز « كلاشينكوف »

عازار : سنقاتلهم ،في المرة القادمة ، بسلاحهم نفسه . ما اصدق المثل القائل : من حفر حفرة لاخيه وقع فيها » .

صموئيل : « هاجم الفدائيون في منتصف الليل نقطة مراقبة لنا .. (يدخل الفدائي فواز)

فواز : ايديكم .

صموئيل : السلاح ، السلاح .

فواز : ان مسدسي اقرب الى قلوبكم .. أريد اسيرا حيا منكم .. (يقلب نظره في الثلاثة) هذا الذي لم يكترث بي يعجبني .. (ملتفتا الى عازار) أنت ..تقدم امامي . لا تحاول المقاومة .. هيا . بدون مشاكل . وانتما ، اذا اطلقتما النار وراء ظهري اقتل صاحبكما ، واعود اليكما .. لا فائدة من المقاومة .. انكم محاصرون بجماعة تستعذب الموت كما تستعذبون هذا النبيذ .. (صموئيل وموسى يتبادلان النظر)

صموئيل : دعه يا موسى يأخذه ،ما دام الامر يفتدى به .

موسى : خذه .. نعدك باننا لن نطلق النار .

(يخرج فواز مصحوبا بعازار ـ والريح تصفر)

فواز : (بنفسه) أسمر .. طويل القامة .. كأني به اخي .. عازار.

(بشار يصيح من الخارج)

بشار : حذار . دورية للعدو.. الاضواء تسلط علينا .

(طلقات عليهم)

فواز : (يصاب بجرح شديد) آه . أصابوني . بشار . انج انت بنفسك (بصوت عال) لا مجال لنجاتي . (بنفسه) لقد فشلت الخطة .. لن اقتلك يا عازار .. (يطبق عليهم العدو ، ويقودونهما الى النقطة)

الملازم : (داخلا) ماذا تصنعون ، ايها المهملون ؟ نبيذ ، كؤوس .. وانتم على خط النار . (يضرب الكؤوس برجليه)

صموئيل : سيدي الملازم . لم نغفل لحظة واحدة ، لكن العاصفة اطمعتنا بالامان .

الملازم : الا تعلمون ان العاصفة هي فرصة العدو ؟ ان العاصفة هي فرصة الجبناء . وما هذا النبيذ ؟

موسى : لقد فقدنا البرد عظامنا ، فاردنا النبيذ للدفء لا للسكر .

الملازم : حقا .. ان النبيذ يدفيء ولا يسكر .. هل عندكم نبيذ ؟ (يقدم له القنينة ، ويشرب منها جرعة) لذيذ .. هاتوا هذا الجريح . هل يحمل سلاحا ؟ (يفتشه ويخرج منه خنجرا) من اهل الخناجر؟ .. بخناجر العصر الحديدي تريدون قتالنا .. (لعازار) وانت ايها الاسير الجبان . خذ بندقيتك وصوبها فوق راسه لتدفع الاهانة عنك .. وانتما (لصموئيل وموسى) تعقبا المهزوم قبل ان ينجو . (يذهبان ـ لفواز) من انت ؟ مخرب ؟ لقد خدعكم الحكام الذين هربوا من المعركة ،وقذفوا بكم لتخترقوا في سعيرها.

فواز : لا تقل مخرب . انني فدائي البي نداء وطني وواجبي .

الملازم : (بسخرية) فدائي . أهلا بك يا فدائي . ولكن من الاسف جاءت هذه البطولة متأخرة .

فواز : (بأنين) ان البطولة هي البطولة .. تأخرت او تقدمت ..

الملازم : دع البطولات لنا . انكم اخر من يتحدث عن البطولة .

فواز : البطولة الحق والغدر لا يجتمعان ..

الملازم : (ضاحكا) . أليس نبيكم هو القائل « الحرب خدعة » .

فواز : ومن كانت حياته خدعة فلن تطول حياته .

الملازم : أكل رفاقك على هذا الوعي ؟

فواز : دعني الان من هذه الثرثرة . الا ترى جرحي ينزف دما ؟

الملازم : يؤسفني اكثر اني لا املك لك نفعا .. المستشفى بعيد عنا، وليس لدينا اية واسطة لنقلك اليه .

فواز : اتريد ان تراني اموت نزفا ، وانا مفتح العينين ؟ أطلق علي رصاصة الموت .

الملازم : (ضاحكا) لن تموت قبل استجوابك . فيأي مخيم انت ؟

فواز : في مخيم الكرامة ..

الملازم : هل هنالك ، وكر المخربين امثالك ؟

فواز : لا اعلم فيه وكرا للمخربين .. لعلك تقصد الفدائيين ..

الملازم : اجل .. الفدائيين . كم يبلغ عددهم ؟

فواز : الشعب العربي كله فدائي .

الملازم : في اي مكان يسكنون ؟

فواز : في كل مكان .. حتى في المكان الذي تنامون فيه آمنين .

الملازم : ما اسمك ؟

فواز : فواز .. (عازار يتململ في موضعه)

الملازم : وكم كان معك ؟

فواز : كنت وحدي حين طرقت هذا المكان .

الملازم : فدائي ذكي .. من علمك هذا المنطق ؟

فواز : منطقكم الذي خدعتم به العالم .

الملازم : أتهزأ بنا ؟ ماذا تنقمون علينا ؟ لقد دعوناكم الى السلم فابيتم.

فواز : لن تجد شعبا اقرب منا الى السلم .. ولكن اي سلم تريدون ؟ اللص نفسه يعفو عن ضحيته التي سلبها اذا لم تقاومه . ولكن، هل هذا يمنع ان يكون لصا ؟ لقد سلبتمونا ارضنا .. بيوتنا .. وتركتمونا مشردين على الدروب ، لاجئين في الخيام . اية راية للسلام ترتفع ؟ واين ترتفع ؟

الملازم : ولكنها تربة اجدادنا ،وارض ميعادنا نعود اليها .

فواز : ومن رأيتم على أرضها ؟ هل نزلتم فلاة جرداء من السكان ؟ (تخور قوته) الهي . هل تهملون الجرحى ؟ انني احس طعم

الموت في فمي . قطرة مـاء .
الملازم : هل لك بجرعة من النبيذ ؟
فواز : اريد قطرة مـاء ..
الملازم : انتظر ، اذا ،حتى يعود جنودنا فيسقوك .
عازار : (يهب من موضعه) انا اسفيه . يؤسفني أن يكـون نظاهرنـا بالانسانية مجرد دعاية .
الملازم : مكانك ! ليس من حقك ان تفعل مـا لم آمرك به . اما خجلت ان تكون اسيرا في قبضةهذا المخرب ؟
عازار : (يهب منتفضا) هل تعذبون الجرحى قبل ان يموتوا ؟ دعـه . انه لم يؤذ احدا .
الملازم : (بهدوء) بلا مزاح يا عازار .
عازار : ما تعودت ان امزح مع ملازم . ان ، هنا ، انسانـا مصابا ، يحتاج الى الاسعاف . لا فرق بين ان يكون صديقا او عـدوا . في المآسي يتساوى الناس .. امام الموت تزول الفوارق ،وتذوب الحزازات .
الملازم : يا لك من فيلسوف صغير ! أبهذا الدافع الانساني تصـوب بندقيتك على مواطنك وقائدك ؟
عازار : حين نخطيء يجب ان نعترف بالخطأ .
الملازم : الق بند قيتك والا .. (يرفع مسدسه)
عازار : لا اريد ان اقتلك بيدي .. لقد وعدت امي بألا اقتل الا مـن يريد قتلـي . (يطلق الملازم النار ، بينما يدفعه فواز ، يـرد عازار على النار بالنار ..)
الملازم : آه قتلتني . (يتلوى) لم اشاهده يموت بين يدي .. ولكن .. آه . ستقتلك بندقيتك نفسها .. (يسلم الروح)
فواز : اخي آخي ! انت الذي لم يشهر بندقيته عليّ .
عازار : (يعانقه ويسقيه الماء) اجل .. يا اخي . لقد عرفتك حيـن ذكرت اسمي « عازار » .لم تسمع اسمي هذا غير امي وامك .
فواز : (يشرب الماء) ان هذا الماء يبقى ماء الى الابد ، لكن الدمـاء لا نصير ماء . الدم هو الدم ، يا عازار .
عازارا : لا تدعني بهذا الاسم بعد الان .. لقد كنت اياه ..وانا اليوم .....
فواز : سمير .. سمير حين كنت صغيرا .
سمير : حقا ، لا اتذكر ذلك العهد .. ولكني تذكرته ، وعشته ، حين رأيت هذه القوافل من اللاجئين واللاجئات،كل امرأة رأيت فيها امي ، وكل طفل رأيت فيه صورتي .. والان .. هيا قبل ان يعودوا الينـا .
فواز : ولكن النزيف لم يبق لي قوة ولا عزيمة .
سمير : (يأتي برباط ،وقطن) سأحاول أيقاف النزيف .. لا تصرخ . تحمل الالم قليلا .. والان ، هيا .. تحامل عليّ . الطريق الان من الغرب الى الشرق .
فواز : وغدا ، ينبلج فجر الخلاص ،من الشرق الى الغرب . (يخطـو به .. يسقط) كم تمنيت ان تطير روحي على جناح العاصفة . (تدوي العاصفة) . تنبأت لي عرافة بدوية بأنني لن اموت الا واقفا في مهب العاصفة .
سمير : ما لـك تهاويت ! ستحملك العاصفة على جناحيها المشتعلين .
فواز : لا .. لا يا اخي . يا ابن امي وابي . يا نسيج لحمي .ودميرة دمي . لن استطيع.لن استطيع .. عد انت وحدك .. اجـل ، وحدك .. توار بين هذه الصخور التي تحنو علينا لانهاصخورنا. عد الى امك وامي .. ستراها تنتظرك في مخيم الكرامة . وخذ سترتي هذه .انهاسترة الفدائيين .. حين تصل الـى الحدود ، اخلع عنك هذا الرداء المخضب بدماء الابرياء ، والبس هـذه السترة التي تعطيك جواز المرور ..
سمير : ولكن .. لا يمكنني أن اتركك حيا ، تكابد الموت وحدك .
فواز : لقد وصلت الى النهاية ..
سمير : ولكنا لم نصل ..
فواز : انني اتصور الان خطا طويلا من الفدائيين ، يمشي بلا انقطاع نحو الغرب .. كانني معهم .. يكفيني ان اراك تعود الى وطنك بشرف ، وتخدمه بشرف . لقد قمت بواجبك ، وغسلت عنـا العار .. انطلق . انها تنتظرك ان تعود ..
سمير : ماذا اقول لها اذا سالتني عنك ؟ (يبكي)
فواز : لا .. لا تبك ! ان البكاء يحرق الشهداء . لـي اسوة بهؤلاء الابطال الذين يذهبون ولا يعودون . انهم يموتون ، وارواحهم ينعشها مجرد الامل بعودة غيرهم . لا تقطعوا آثاركم مـن الطريق .. طريق العودة .. المواكب الهادرة يجب ان تتواصل علىالطريق ... انني اراها .. اراها على الطريق .. وهذه البرتقالـة .. لا تزال فـي جيبي .. لا تنس ان شجرتها هناك .. لتبق معك . (يموت بيـن ذراعيـه)
سمير : اخي . اخـي . (يأخذ البرتقالة منه) وددت لو اموت انا لاكفر عن خطيئتي .. الى لقاء قريب ..!! (يتحرك وينطلق)
(طلقات من بشار القابع وراء صخرة)
بشار : (من بعيد) لثأرك يا فواز .
سمير : آه . (يضغط على جرحه) آه . لن اراها .. كلانا يموت دون ان يراهـا .
بشار : (يقترب) فواز . لم تمت بلا ثمن . (يقترب ، ويرى الثاني، يحضن فواز وهو في حالة الاحتضار) ويلتاه . ماذا فعلت ؟ماذا جنت يـداي
سمير : (بصوت منخفض) لا ... لم تجن شيئا .. حين نخطيء يجب ان ندفع الثمـن .
بشار : هل انت عازار اخو فواز ؟
سمير : بل سمير .. اخوه الذي كان ضائعا ، ووجد نفسه .
بشار : هل استطيع ان احملك الى امك ؟
سمير : لا .. لن اصل حيا . بلغها ان ولديهـا مانا معا بطلين عربيين. واصبح دمهمـا واحدا .
بشار : ولكـن ..
سمير : البسني هذه السترة قبل ان اموت ، لاشعر بانني متفدائيا .
بشار : (يبدأ يلبسه) اردت ان اثأر له .. ولكن ممن ؟
سمير : الان ، ادركت الكرامة.. والشهادة .. وهذه البرتقالة ..امانة في عنقك ..(يسلم روحه)
بشار : هل اعود وحدي ؟ كيف اعود ويداي ملطختان بالدماء ؟ هلتبقى القصة مجهولة ؟ هل احيا لاقصها ؟ (طلقات عليـه .. يختلط صداها بصوت العاصفة) لا .. لا . لن تنال مني طلقاتكم قبـل ان ابلـغ الامانـة .

المشهد الخامس

المكان ـ في البيت السابق في مدينة حيفا .
الاشخاص في اللوحة الخامسة :
راحيل : الام الاولى
يعقوب : الاب الاول
صموئيل : رفيق عازار

راحيل : (بقلق) لقد طالت غيبة عازار .. انه وعد بان يعود سريعا، ليقضي اجازتـه هنا .
يعقوب : هل تعتقدين بانه سيعود ؟ انني اعرف هؤلاء العرب ... ان الدم عندهم لا يصير مـاء .

راحيل : هل ترى انه رجع الى امه ؟ ولكنه وعد بانه لن يتركنا . انني لا استطيع البقاء بدونه .. هو ريحانتنا في غربتنا ، وسلوتنا في وحدتنا .

يعقوب : انني شعرت بانه ذهب لا ليعود .. ولكن ضميري يحدثني بانه لن يعود اليهم ولا الينا .

راحيل : ان ضميري يحدثني بشر .. افتح . افتح الاذاعه . هذا موعد نشرة الاخبار .

(يفتح الاذاعة . هذا موعد نشرة الاخبار .

(يفتح يعقوب الاذاعة ـ تك ـ تك ـ تك .. اشارة اذاعةاسرائيل)

المذيع : « اعلنت الساعة السادسة والنصف .. وهذا موعد نشرة الاخبار من دار الاذاعة الاسرائيلية ، من اورشليم ـ القدس » اعلنت قيادة جيش الدفاع الاسرائيلي البلاغ التالي :

« فاجأت جماعة من المخربين ، هذه الليلة ، نقطة مراقبة لنا ، وكانت معركة قضينا فيها على المخربين .. أصيب ملازم أصابة قاتلة ، ـ وفقدنا جنديا كان يتعقب أحد المخربين ، بالقرب من خط وقف اطلاق النار ، أصابته طلقة قناص من الضفة الثانية .. انه بطل اسرائيلي » .

راحيل : لا .. لا ، اغلقه . لا استطيع . من هو هذا الجندي ؟

يعقوب : اتراه يكون ولدنا عازار ؟

راحيل : لماذا كان يتعقب احد المخربين ؟

يعقوب : هل يكون في طريقهالى الضفة الثانية ؟

راحيل : ولكنهم قتلوه بأيديهم ..

يعقوب : لعلهم لا يدرون شأنه .

راحيل : الى متى تبقى هذه المآسي هنا وهناك ؟ لماذا لا يعيدون الابناء الى امهاتهم ؟ لماذا لا يعيشون على هذه الارض بسلام ؟

يعقوب : أسألي رجالنا الذين يدعون الى تبرير الحرب كوسيلة للسلام . اسألي الذين اعطونا هذا البيت الذي لا يملكونه . اسألي هذا الصغير الذي ربيناه ، ليقتل امه واخاه .

راحيل : انهم ينعتونه بانه بطل اسرائيلي .

يعقوب : ليبق كذلك .

راحيل : لماذا لا نكشف الحقيقة ؟

يعقوب : الحقيقة ، هنا ، مطموسة ، ويجب ان تبقى مطموسة . لا نريد ان نقتله مرة ثانية .

راحيل : هات ردائي الاسود . هل تدرك امه الحقيقة ان ولدها قد عاد الى حضنها شريفا ؟

يعقوب : (وهو يأتيها بالرداء الاسود) اذا ادركت ذلكفما اسعدها.

راحيل : لا ادري قتيلا يدعيه الاعداء كما يدعيه الاصدقاء .. ما افرغ حياتنا بعد اليوم !ضع صورته فوق سريره . (يحمل يعقوب الصورة ويضعها) انه لا يزال يضحك ..

يعقوب : بينما نحن نبكي .. (صموئيل داخلا) من هناك ؟

صموئيل : رفيق عازار ..

راحيل : ادخل . لقد فهمت . هلكنت معه ؟اين تركته ؟

صموئيل : كنا معا في موضع واحد ،حين فاجأنا المخربون .

راحيل : هل قاتل قبل ان يلقى مصرعه ؟

صموئيل : (بتردد) الحق انه لم يرد ان يقاوم ... ولكنه سقط ، بعد ذلك ، بطلا .

راحيل : هل تقصد انه قتل احدا ؟

صموئيل : لم يقتل احدا ..

راحيل : هذا ما وعدني به .. ولكن البلاغ العسكرينعته بانه بطل .

صموئيل : كل من يقتل في المعركة يعد بطلا .. لذلك جئت اعزيكبموته.

راحيل : اما لهذه التعازي من نهاية ؟

يعقوب : انها ام .. لا تلمها اذا تجردت من كل شيء الا الامومة ..

راحيل : اخشى ان يأتي يوم تغدو فيه كل ام مثلي .. (تلتفت الى الصورة) اضحك . اضحك ياعازار . ان الاموات وحدهم عندنا هم الذين يضحكون .

المشهد السادس

المكان ـ في المخيم

الاشخاص في اللوحة السادسة :

سلمى

سعاد

بشار

(سلمى وسعاد في لهفة)

سعاد : ويلتاه . لم يعد فواز يا سلمى .. ليس من عادته ان يتاخر حتى هذا الحين .

سلمى : ما اكثر هواجسك ! كلما خرج فواز تعلقت عيناك بالباب .

سعاد : هل التقيا ؟ هل تعارفا ؟ هل تقاتلا ؟ هل تصافحا ؟

سلمى : ان خاطري يحدثني بأنهما راجعان معا ..

سعاد : افتحي الاذاعة .. هذا وقت اذاعة العاصفة .. (تفتح المذياع ... اشارة اذاعة العاصفة)

« استطاعت جماعة من الفدائيين ان تفاجيء ليلا نقطة مراقبة للعدو ، دمرته ، وقتلت من فيه .. فقدنا اثنين من رجالنا .. انهما بطلان عربيان .. »

(موسيقى شجية)

سعاد : انني ارتجف .كفى.كفى. من عسى يكون هذان الفدائيان اللذان قتلا ؟ اليسا هما ؟

سلمى : انك لا تتصورين الا الافكار المفجعة ..

سعاد : من يخبرنا بالحقيقة ؟ ان قلبي يخفق خفقة الموت ..

سلمى : هناك ، بشار كان يرافقه .

سعاد : من لنا ببشار ؟انني قلقة .. لا ادري اي كابوس يطبق على انفاسي ؟ لعله عاد ، ولا يريد ان يفاجئنا .

سلمى : لا بد ان يمر بنا .

سعاد : (بتردد) انهما بطلان عربيان .. اليس كذلك ؟ أيكتب القدر علي ان اضحي بهذين البطلين في ليلة واحدة ؟

بشار :(يدخل ـ بنفسه) لا تزالانساهرتين..كانهما تشعران بالمأساة..

سعاد : ما عندك يا بشار ؟ تكلم . ما لك صامتا ؟ تكلم . شفتاك ترتجفان .هل قتل احدهما ؟ أين الاخر ؟ اين فواز ؟

بشار : (يطفر الدمع من عينيه) هذه البرتقالة هي التي استطعت ان احملها .

سعاد : (بشهيق) رباه . افي ليلة واحدة ؟ (تمسك البرتقالة) انها اهترأت كما يهترىء لحم الانسان .

بشار : ان الخنساء تحيا مرة ثانية ..

سلمى : هل تعارفا ؟

بشار : أجل ..

سعاد : هل ماتا اخوين ، او عدوين ؟

بشار : ابشريبأن دماءهما قد امتزجتفي رسالة واحدة ،وغايةنبيلة..

سعاد : رباه . رباه . قد استراح الان ضميري .. لقد كنت اخاف ان ان يكون احدهما في الجنة ، والاخر في النار ..

بشار : لقد ادى كلاهما واجبه .. ذاك محا العار بدمه ،والاخر استحق الخلد ببطولته وشهادته .. لن تموت امة فيها فواز وسمير ..

سعاد : لم استطع ان اناديه باسمه وهو حي .. سمير . سمير . تعزيني انك واخاك سرتما على طريق واحد . وسقطتما في مكان واحد .

سلمى : وانت ؟ هل كنت شاهدا على موتهما ؟ هل كنت معهما ؟

بشار : (يتلجلج لسانه ويتلعثم ـ بنفسه) الهي . ماذا اقول ؟ هل يجب ان تعلم الحقيقة ؟ ويلتاه . ما هو موقفها مني لو علمت ؟ هل تفشي السر يا بشار ؟

سعاد : ما لك ساكتا . هل كنت بعيدا عنهما ؟

بشار : بل كنت خلف فواز احمي ظهره .

سعاد : وكيف عرفت ان ولدي الثاني قد لقي مصرعه ؟

بشار : (يضطرب ،ويتألم ـ بنفسه) لن يستريح ضميري اذا كتمت الحقيقة ... هل تريدين الحقيقة ؟

سعاد : ان وراءك نبأ خفيا . تكلم . هل تخليت عنهما ؟ هل قتل احدهما الاخر ؟

بشار : لقد كنت بعيدا . تركت « فواز » ينقض وحده على العدو في نقطة المراقبة . وانا بعيد ، احميه من كمين يفاجئه .. فجأة اكتشفتنا دورية للعدو ، تواريت انا بين الصخور .. كانت ،هناك، معركة اصيب فيها فواز . آليت على نفسي الا ابرح مكاني حتى انتقم له .. لمحت على الانوار الكشافة جنديا اسرائيليا ،يسوق فواز .. اطلقت عليه النار ، طلبا للثار .

سعاد : وهل اصبته ؟

بشار : لقد كانت الاصابة قاتلة .. ويا للاسف ..

سعاد : وهل قتلته ؟

بشار : ادركته جريحا ، واسلم الروح بين يدي .. جرحه يرعف ، ودمعه يسيل .

سعاد : وفواز .

بشار : طريح بجانبه .. الجسدان متعانقان ، والدمان مختلطان .

سعاد : لا يمكن ان يكون هذا الذي قتلته جنديا اسرائيليا .. من هو ؟

بشار : (بصوت متهدج) انه هو .. انه هو .

سعاد : سمير !

بشار : يا الهي . أقتلته بيدك ؟

بشار : هذه هي بندقيتي جاهزة . افرغي الطلقة الاخيرة منها في راسي .. انني انا الجاني .. مالك تترددين ؟

سعاد : (تتناول البندقية) بهذه البندقية .. أرديت ولدي .. أيها القاتل .

بشار : اطلقي . اطلقي . لا تترددي . جزاء القاتل القتل .. انني معترف ..

سعاد : (بحزم) لا .. لا عليك يا بشار . هل تريد مني ان اقتل ولدي الثالث ؟ خل هذه الطلقة لعدونا الحقيقي .

سلمى : (تأخذ البندقية وتردها له) لم يمت عندنا من مات من اجل الرسالة .

سعاد : متى ترى اليوم الذي تصبح فيه هذه البندقية شجرة برتقال تزهر وتثمر على احضانك يا بلادي ؟ (تمسك البرتقالة) الي كل يوم تهتريه برتقالة السلام ؟

بشار : ما هو ذنبنا اذا فرضوا علينا ان نشتري السلام بدمائنا ؟ (هدير طائرات وقذف قنابل) ضحايا .. ضحايا جديدة .. هذا هو السلام الذي يريدون فرضه علينا . اماه . هل تغفرين لي خطيئتي ؟

سعاد : (بملامح جامدة) لقد غفرت ...

بشار : (يقبل يدها ، يهم بالانصراف)

سعاد : الى أين يا ولدي ؟

بشار : لعلي أكون ثالثهما قريبا.. ان الشهداء يحنون الى الشهداء .. (ينطلق)

صوت بعيد : (مرتلا)

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

سعاد : اجل يا أختاه . لا ينبغي ان نبكي على الاحياء .. انهم احياء . من كان حيا عند ربه لا يمكن ان يموت ...

(دموع جامدة)

حلب

دار الاداب تقـــدم

امرأتان في امرأة

رواية بقلم

الدكتورة نوال السعداوي

صدرت حديثا